

المزعج المجنون المستحق...

جان عزيز

أثناء زيارته الأخيرة إلى بيروت، سألت ريتشارد مورفي عن إبرامه اتفاقه الشهير مع حافظ الأسد، في 17 أيلول 1988، والذي سمي لاحقاً «الضاهر أو الفوضى». فإذا به يستطرد في كلامه ليقول إنه لم يلتق ميشال عون في ذلك الأيلول. بل التقاه مرة واحدة في حياته، في أيلول سابق بأربعة أعوام. كان ذلك في اليوم التالي للاعتداء بواسطة سيارة مفخخة، على السفارة الأميركية في عوكر، في 20 أيلول 1984. جاء مورفي من واشنطن بصفته مساعداً لوزير الخارجية الأميركية للاطمئنان إلى دبلوماسييه. وجاء عون إلى عوكر نفسها، بصفته قائداً للجيش وللسبب نفسه. «هناك التقيته»، روى الدبلوماسي الأميركي العتيق. «تحدثنا في مسائل عدة. قبل أن أسأله عن استحقاق رئاسة الجمهورية». بين هلالين، كان الاستحقاق المذكور لا يزال يبعد أربعة أعوام، أي سنة 1988. وكان عون قائداً للجيش منذ أربعة أشهر فقط. وكان مورفي هو نفسه من شهد من موقعه سفيراً لبلاده في دمشق، دخول الجيش السوري إلى لبنان سنة 1976، كما يشهد عليه كيسيونجر في كتابه «أيام التجدد»، وكما ينفي مورفي دوماً مسؤولية تواطئه، رامياً عتبه على ذاكرة رئيسه السابق... نقل الهلالين، تابع مورفي روايته: «سألت عون عن رأيه الشخصي في الاستحقاق الرئاسي. فأجابني ما حرفيته: كل ستة أعوام يكون لبنان على موعد مع استحقاق لرئاسة جمهوريته. لكنه كل مئة عام أو أكثر ربما، يكون لبنان على موعد مع استحقاق لتحرير دولته. أنا لست معنياً بالاستحقاق الأول، بل

ومن يكون؟ فأجابه الأسد: ممكن ميشال عون. فعقب الضيف: هل يمكنني أن أنقل إليه هذا الكلام؟ فرد المضيف بالإيجاب. أنهى الحريري طعامه بسرعة، وسارع إلى إبلاغ شاهدين لا يزالان حيين، على ما



**ثمانون عاماً أمضاها
الرجل مزعجاً وعاش أكثر
من نصفها متهماً**



جرت بين الراحلين. وصل أحدهما خلال ساعات قليلة إلى قصر بعيدا، حاملاً البشرى. زفها إلى رئيس الحكومة عون، وكأنها خاتمة الكلام والأحداث. لبث عون مفكراً ثواني، قبل أن يقول للرجل: حسناً، الرئاسة لي إذن. لكن لمن ستكون الجمهورية؟ خرج الموقف خائباً، بعدها خرج عون من أيدي الجميع، حتى أخرج عون من بعيدا ومن لبنان... يومها لو قدر للمعنيين بتلك الحادثة أن يكتبوا إلى الأميركيين السابقين، لكرروا الكلمتين نفسيهما: لم يتغير!

ثمانون عاماً يعبرها الرجل. أكثر من نصفها عاشه متهماً. سنة 1969 ألقى طرفه أمام زملائه من الضباط، فارتعبت قيادة الجيش بكاملها من كلام نقيب. سنة 1975 اتهم بالتحضير لانقلاب عسكري يبدأ من صيدا ويحتاج بيروت. أرسلوا إليه وفداً عسكرياً ربيعاً ليطلعوا على حقيقة نيته، قبل أن ينتهي الموضوع بغداء، وكلام من الضابط عون إلى رؤسائه: كيف تشكون في ولائي،

وفي ذكائي؟! فاستدركوا وعادوا. سنة 1980 اتهموه في سرهم بسطوع نجمه، فنفوه إلى دورة عسكرية في فرنسا. مطلع سنة 1984، كرروا المحاولة. سأله وزير الدفاع يومها عصام خوري، هل يقبل الإبعاد مجدداً؟ فقال له العميد عون: طالما أن الطلب يفرض على الالتحاق خارج البلاد في تموز المقبل، فلا تقلق. يمكنك أن توقعه. فحدثنا التاريخ، إما أن يكون البلد قد انتهى، وإما أن أكون قد أصبحت في موقع يمكنني من تمزيق الطلب بيدي... لم يصح إرهاب عون الأول حول نهاية بلد لا نهاية له، ولا نهاية لأزماته. لكنه صار قائداً للجيش قبل سريان نفيه المقنع، وحرص على تمزيق ورقته شخصياً.

ثمانون عاماً عاشها الرجل. أمضاها كلها في موقع المزعج. مزعج هو في كل تفصيل من حياته. في أن يكون ابن فلاح يقفل كل البيوتات. مزعج في أن يكون الفقير الذي لم تهزمه الثروات. مزعج في أن يجتاح كل المساكن وهو يسكن في منزل بالإعارة. مزعج أن يقول عنه حسن نصرالله أن دُبْنه في عنقه حتى يوم القيامة، فيما السيد يحكم نصف المنطقة، أو يكاد، أو أكثر. مزعج أن يقود له بشار الأسد سيارته في شوارع دمشق، هو من قاد ضد

والده أشرس حرب في بيروت. مزعج أن يقدم فجأة صوب سعد الحريري، فتصير زيارته عيداً وميلاداً... ومزعج خصوصاً أن يظل هو هو في كل هذه، وأن يظل شعبه معه أينما كان. ميشال عون الثمانيني المزعج، بيتسم حين يروي لك كل تلك. كما قدر لي أن أسمعها منه طيلة عشرة أعوام ومئات الأيام. منذ أشهر قررنا أن نوثقها، بالصوت والصورة. فجأة طرأ تعبير جديد على المشهد. غابت البسمة في محطات. حلت محلها غصة وعُبرت. مرة حين روى لي اجتماع بعيدا في 3 أيلول 1983. يوماً جاؤوا ليلبغوا أمين الجميل رئيس الجمهورية، بأن عليه أن يترك القصر. لأنه خلال ساعات ستكون القوات السورية وحلفاؤها قد اجتاحت الجبهة وصارت في بعيدا. سأل الجميل العقيد عون الذي كان حاضراً متفاجئاً بما يسمع. فوقف عون متوجّهاً إلى الرئيس بالقول: أنا صاعد الآن إلى سوق الغرب. حين تسمع أن اللواء الثامن أبيد، وأن العقيد عون استشهد، عندها فقط تترك قصر بعيدا!

غصة ثانية حين تسأله عن أبو نعيم. لماذا لم يزره منذ 13 تشرين الأول 1990 وحتى عودته في 7 أيار 2005. تخنقه ذكرى شقيقه الأكبر. يردد بكلمات خافتة: لم يشأ أن يراني مهزوماً. ترك عنده صورتي منتصراً، حتى عدت...

غصة ثالثة في عيد ميلاده الثمانين في 18 شباط الماضي. حين استعرض في ذاته مساره ومسيرته. حبس عبرته بتلك القحة التي تبدو عونه على الدمعة، قبل أن يهمس: كنا دوماً مخزيين بين اليأس والجنون. وقد اخترت دوماً الجنون لأنتصر على

اليأس!
ميشال عون، المزعج المجنون، أنت مستحق.



رسالة الى الأسد

العماد ميشال عون
11 شارع فالسبورغ
باريس
75017

باريس، في 2 كانون الثاني 2005

سيادة الدكتور بشار الأسد
رئيس الجمهورية العربية
السورية
دمشق

كلنا يدرك دقة المرحلة التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط وما ينعكس منها على سوريا ولبنان، بالإضافة إلى القرار 1559 الصادر عن مجلس الأمن بتاريخ 3 . 9 . 2004، والذي ينص على وجوب انسحاب القوات السورية من لبنان. ولما كان هذا القرار يثير تأويلات شتى، حول مراميه وغاياته، كما تُشن حروب نوايا على مؤيديه ونحن منهم، دعونا مختلف التشكيلات السياسية اللبنانية، إلى لقاء خارج لبنان بعيداً عن أجواء الضغوط أحياناً والمزايدة أحياناً أخرى، أملين أن نصل في نهاية هذا اللقاء إلى عدم تفسير القرار الدولي بما لا يحتويه، والتفاهم على تنفيذه بما يضمن استقلال وسيادة لبنان، مع المحافظة على أفضل العلاقات مع الجمهورية السورية. ولما كانت الدولة السورية هي المعنية الأولى بالانسحاب العسكري من لبنان وتبدي قلقاً وهواجس من تنفيذه، فإننا نطلب من سيادتكم أن ترسلوا موفداً يمثلكم للمشاركة في هذا اللقاء، ونحن على يقين بأن هذه الهواجس ستبتد بعد حوار صريح حول مسببات القلق.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

الطعام. وفيما هي تأكل يحمّون الختم و«يلطشون الثور من ورا فيجعر، ثم يرجع ويحط راسو بالأكل»؟ وهكذا كل بمفرده. لا يختمونها كلها معاً حتى لا تنخور. وهناك «ناس مثل البقرات» ما بتتشوف الخطر طالما هو لا يؤثر فيها شخصياً.

■ تفهمت باكراً هواجس حزب الله؟
- (مقاطعاً) «أوعا حدا» يقول هواجس حزب الله. هذه هواجسي أنا.

■ إلى أي مدى يُترجم ما تقوله قناعات في القاعدة المسيحية؟
- تحسنت النسبة الى حد كبير.

■ هل تصنف نفسك اليوم في محور المقاومة؟
- أكيد في محور المقاومة ضد «داعش» وإسرائيل.

■ ومع أولويات المقاومة؟
- «داعش» أولوية. الخطر سائر في اتجاهنا.

■ ألا تخشى مما يسمّى فائض القوة لدى الشيعة اليوم؟
- اظن ان فائض القوة هذا مستوعب شيعياً. تعلموا من أخطاء المارونية السياسية والسننية السياسية. لا أخشاه لأسباب عدة، منها نشأتي ومعرفتي بالناس ومعاشرتهم. السيد حسن نصر الله مع التوازن.